Route Educational & Social Science Journal

Volume 5(10) August 2018

Artical History

Received/ Geliş 12/7/2018 | Accepted/ Kabul 25/7/2018 | Available Online/yayınlanma 1/8/2018

ابن الدبيثي (ت637هـ) أديبا

أ.م.د. بلقيس خلف رويح / الجامعة المستنصرية – العراق

الملخص

يدرس هذا البحث شخصية ابن الدبيثي الواسطي المتوفى في القرن السابع الهجري، والذي كان له الفضل في توثيق الأحداث التي وقعت في عصره والعصور السابقة له، من خلال التخصص بعلم التراجم للشخصيات السياسية والدينية والأدبية، وقد ركزنا على الجانب المغيب لهذه الشخصية في الدراسات التي اختصت بدراسته[1]، وهو الجانب الأدبي والمتمثل بدراسة نثره الموجود في كتابه ذيل تاريخ مدينة السلام، وجمع شعره ودراسة مذهبه في النظم.

لذلك قسم البحث على ثلاثة محاور، الأول : اختص بدراسة حياة ابن الدبيثي، اسمه ولادته، نشأته، مكانته بين العلماء، ومؤلفاته، أما المحور الثاني: فقد خصص لدراسة نثره المبثوث في كتابه ذيل تاريخ مدينة السلام، فالذي يقرأ هذا الكتاب، يجده مكتوبا بلغة أدبية وبلاغية، فصاحبنا أضحى متمكنا من اللغة العربية ومفرداتها، وأن ابن الدبيثي نوّع في اسلوب عرضه للترجمة ، من حيث الايجاز والاطناب، ومن حيث استعمال اللغة العالية الغنية بالأساليب البلاغية وبين اللغة العادية، وهذا يعتمد على الشخصية المترجم لها، فلكل مقام مقال.

أما المحور الثالث: فكان الأرضية التي حوت شعر ابن الدبيثي المجموع من أمّات الكتب، إذ استطعت ان أجمع تسعة وثمانين بيتا، موزعة على إحدى وعشرين مقطوعة، وكان يكثر من استعمال الجناس التام في قوافيه، إي انه يميل لاستعمال المشترك اللفظي بحيث تكون الأبيات تنتهي بنقرة متشابهة من حيث اللفظ، مختلفة من حيث المعنى، وهذا يدل على أن ابن الدبيثي يمتلك ثروة لغوية هائلة، اكتسبها من محفوظاته المتنوعة، فهو المقرئ، والمحدِّث، والمؤرخ.

Abstract

This research examines the personality of Ibn al-Dabithi al-Wasiti, who died in the seventh century AH, who was credited with documenting the events of his era and his previous epochs, through specialization in the translation of political, religious and literary figures, and focused on the absent side of this character in the studies that he specialized in studying, Which is the literary aspect of the study of the prose found in his book the tail of the history of the city of peace, and collect his poetry and study doctrine in the systems.

[1] توجد دراسة عن ابن الدبيثي بعنوان : ابن الدبيثي (دراسة تحليلية في مصادر سيرته و موجز في تاريخ حياته)، بشار عوّاد معروف، بحث منشور في المجلة التاريخية(تصدرها الجمعية العراقية للتاريخ و الآثار – مؤسسة دار الكتب و النشر جامعة الموصل)– السنة 1974 – العدد 3.

The second part is devoted to the study of his prose in his book The Tail of the History of the City of Peace. Those who read this book find it written in the language of the city of peace. Literary and rhetorical, our companions became proficient in the Arabic language and its vocabulary, and that Ibn al-Dabithi type in the style of translation, in terms of brevity and tannery, and in terms of the use of high language rich rhetorical methods and the normal language, and this depends on the personality translator, for each article.

The third axis: The ground that whipped the hair of Ibn al-Dabithi total of the mother of books, I was able to collect eighty-nine houses, distributed on twenty-one pieces, and was much of the use of the full giraffe in the caucuses, he tends to use the verbal joint so that the verses end with a click Similar in terms of the word, different in terms of meaning, and this indicates that Ibn al-Dabithi possesses a vast linguistic wealth, acquired from his varied archives, he is the reciter, the modernist, the historian.

المحور الأول: حياته

اسمه ومولده:

هو محمد بن أبي المعالي سعيد بن يحيى بن علي بن الحجاج بن محمد، ويكنى بأبي عبد الله. ويلقب بالحافظ والمؤرخ والمقرئ وحجة المحدثين. ولد في دُبيث إحدى قرى واسط سنة 558هـ[2].

نشأته وتلقيه العلم:

نشأ في واسط، وأسرته معروفة بالعلم والأدب، فجده لأمه هو حجاج بن علي بن الحجاج بن محمد، أبو القاسم[3]، كان راوية للحديث النبوي الشريف، ووالده، كان من الأعيان راوية للحديث والشعر أيضا[4] ، أما ابن عمه أبو محمد الواسطي الدبيثي، فكان شاعرا وأديبا[5] .

وقد قدم والده الى بغداد مصطحبا ابنه معه، فدفعه إلى طلب العلم، فتلقى ابن الدبيثي دروسه في حفظ القرآن الكريم، وأقبل على القراءة بالقراءات السبع والعشر، وسمع الحديث من مئات الشيوخ ودرس الفقه والأدب واللغة وغيرها

[2] تنظر ترجمته في:معجم الأدباء: 2539/6، و تاريخ إربل: 176-177، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد: 13، وقلائد الجمان: 86/7-89، والتكملة لوفيات النقلة: 528/3، والحوادث الجامعة: 114، والدر الثمين: 220، وفيات الأعيان: 393/4، وطبقات علماء الحديث: 197، وسير أعلام النبلاء: 3441/3، وتاريخ الاسلام: 343/46، ومرآة الجنان: 768/4، الوافي بالوفيات: 102/3، وتراجم طبقات النحاة: 85.

[3] تنظر ترجمته في: ذيل تاريخ مدينة السلام، ابن الدبيثي: 3/ 226 .

[4] ينظر: المصدر نفسه: 3/ 337.

[5] تنظر ترجمته في : قلائد الجمان: 195/1.

على عدد من كبار شيوخ عصره، وأراد الاستزادة من التحصيل وطلب العلم، فرحل إلى الحجاز وحج سنة 579 هـ، وجاور وأخذ عن علماء الحجاز، وسافر إلى مصر، ودخل الموصل ودرس على جماعة من كبار شيوخها[6].

واختص بتراجم الرجال، إذ قال[7]:

وَإِنِّي بِأَعْلامِ الرِّجَالِ لَعَالِمٌ وَمَنْ هُو مِنْهُمْ مُسْتَحِقٌ لِحَمْدِهِ

وكذلك أولى عناية كبيرة بعلم الحديث، وقد أشار إلى أهميته بقوله[8]:

إذا اختار كلُّ الناسِ في الدينِ مذهبًا وصوَّبه رأيًا ودقَّقَهُ فِعلا

فإنِّي أرى عِلْمَ الحَدِيثِ وأهْلَهُ أحقَّ اتِّباعًا بل أسدّهُمُ سُبْلاَ

لِتَركِهِمُ فيه القياسَ وكونِهِمْ يَؤُمُّون ما قال الرسولُ وما أمْلَى

وكان من المعدلين الأعيان ببغداد، وعزل من العدالة، لِكُلفَتِها، والعدل مهنة كالقضاء والافتاء، فذكر ابن النجار في ترجمته: أنه ولي الإشراف على الوقف العام مدةً، ثم إنه استعفى من الشهادة ضجراً، فأجيب، فانقطع في منزله منعكفاً على إقراء القرآن ورواية الحديث[9].

مكانته في عصره:

لابن الدبيثي ذكر طيب عند جلٍّ من ترجم له، فقد وصف بمجموعة من الصفات والالقاب التي تدل على غزارة علمه، وتمام فضله، إذ قال عنه:

---

[6] ينظر: معجم الأدباء: 2539/6.

[7] قصيدة رقم (5) .

[8] مقطوعة رقم (15) .

[9] ينظر: المستفاد: 114.

1_ ياقوت الحموي (ت626هـ) ((شيخنا الذي استفدنا منه وعنه أخذنا))[10]

2_ ابن المستوفي الإربلي (ت637هـ) : ((شيخ حسن مؤرخ، سمع الحديث وكتبه، وله محفوظات كثيرة، أوردها عند المحاضرة))[11].

3_ابن النجار(ت640هـ): ((كان حسن الصحبة وجميل الأخلاق والتودد والديانة وحسن الطريقة))[12]،وقال أيضا: ((هو أحد الحفَّاظ المكثرين ما رأت عيناي مثله في حفظ التواريخ والسير))[13].

4_ ابن الشعار الموصلي (ت654هـ) ((وهو شيخ ثقة حافظ ذو معرفة، وضبط وعلم بالتواريخ والوقائع))[14].

5_ علي بن أنجب المعروف بالساعي (ت674هـ): ((استفدت منه، وأخذت عنه، كان إماما قارئا، أديبا فقيها، مُجيدا، شاعراً مؤرخاً، جمَّاعة لعلوم كثيرة، متدِّيناً، عارِفاً بعلوم الحديث))[15].

5_ الذهبي (ت748هـ) : ((الإمام العالم الثقة الحافظ شيخ القراء حجة المحدثين))[16]، وقال في كتابه معرفة القراء : ((له خبرة تامة بالعربية والشعر وأيام الناس))[17]

6_ الأسنوي (ت 772هـ): ((وكان حافظا ثقة))[18].

توفي سنة 637هـ[19] .

مؤلفاته

---

[10] معجم الأدباء: 2540/6

[11] تاريخ إربل: 176

[12] المستفاد: 14 .

[13] تراجم طبقات النحاة: 86.

[14] قلائد الجمان: 87/7.

[15] الدر الثمين: 220-221.

[16] سير أعلام النبلاء: 3441/3.

[17] معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار: 1243/3.

[18] طبقات الشافعية، الأسنوي: 264.

[19] ينظر: معجم الأدباء: 2541/6، المستفاد: 14، قلائد الجمان: 87/7.

لابن الدبيثي مؤلفات عدة، وهي[20]:

ـ تاريخ واسط، أو ما يسمونه بالتاريخ الكبير، فواسط كانت في وقته من أهم المراكز العلمية اذ اكتظت بدور الأدب والعلم، لذلك خصها بكتاب منفرد إلا أن هذا التأريخ لم يصل إلينا .

ـ معجم شيوخه، ترجم فيه لشيوخه الذين سمع منهم وتتلمذ على أيديهم، وهذا الكتاب أيضا في عداد المفقودين.

ـ كتاب فصل الربيع، لم يصل إلينا .

ـ مختار من شعر ابن المعلم، ويقصد به ابن المعلم الواسطي، لم يصل إلينا أيضا .

ـ ذيل تاريخ مدينة السلام، الذي جعله ذيلاً على كتاب " المذيل " للحافظ السمعاني (ت 562 هـ)، وقد وصل إلينا بخمسة أجزاء حققه الدكتور بشار عوّاد. هو يقع ضمن سلسلة التراجم البغدادية، التي تبدأ بتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت463هـ)، وذيله السمعاني (ت562هـ) في كتابه (المذيل على تاريخ بغداد)، وكانت ترجماته للشخصيات ذات طابع أدبي .

بدأ كتابه بالمتوفين بعد عام 562 هـ، وسار إلى أن توقف عند سنة 621 هـ، كما ترجم في تاريخه لمن كان ببغداد من الجنسيات كافة كالأندلسي والهندي والأصبهاني، مع الإكثار من تراجم الواسطيين، فواسط ومنذ القرن الرابع الهجري كثر علماؤها وأدباؤها وشعراؤها، وأصبحت مدينة الثقافة والعلم.

وتنوعت الشخصيات المترجمة فهناك الخلفاء والولاة، والوزراء، وأرباب الولايات، والفقهاء، والنقباء، والقضاة، والعدول، والخطباء، والفقهاء، ورواة الحديث، والقراء، وأهل الفضل والأدب، والشعراء، والصوفية، والأطباء، والصيادلة وغيرهم ، وقد أشار الى هذه القضية في مقدمة كتابه[21].

وبدأ تراجمه بمن اسمه محمد، وبعدها التزم بالترتيب الهجائي، ولم يكتف بترتيب الاسم الأول وإنما بترتيب اسم الأب في وقوع التشابه في الاسم الأول.

ولم يلتزم ابن الدبيثي بمنهج معين في تراجم الشخصيات فتارة يقدم مكان الولادة مثلا يقول: من أهل واسط او أصبهان، ومن ثم الولادة فيذكر شيئا من حياة المترجم كمهنته ورواية بعض الاشعار ان كانت الشخصية المترجم لها من الشعراء . ويختمها بالوفاة. وهذا النهج الأعم الغالب.

[20] ينظر: الدر الثمين : 222، طبقات علماء الحديث: 198.

[21] ذيل تاريخ مدينة السلام: 151/1.

وتارة يقدم الولادة على المكان، او يقدم المهنة القاضي أو الشافعي او الحافظ ...الخ.

وقد يطيل في الترجمة وقد يقصر بحسب المادة التاريخية المتوفرة؛ لأنه يعتمد على الإسناد في نقل الخبر، فهو لا يسرد الأحداث من دون سند حتى يحقق المصداقية لترجمته.

أهمية الكتاب:

يعد الكتاب موسوعة تاريخية وجغرافية وعلمية؛ كونه يحتوي على مجموعة من اسماء الأماكن والمحلات والقرى والنواحي، فهو معجم شامل للأعلام والأماكن والمصنفات التي أخذ منها، ومعظمها لم تصل إلينا.

لكن يؤخذ عليه أنه لا يذكر الأحداث التاريخية التي وقعت في زمن الشخصية المترجم لها .

المحور الثاني

نثره

يعد كتابه (ذيل تاريخ مدينة السلام) المذكور في الصفحات السابقة الموطن الذي شمل نثره. فقارئ هذا الكتاب، يجده مكتوبا بلغة أدبية وبلاغية، فصاحبنا أضحى متمكنا من اللغة العربية ومفرداتها، وقد آثر استعمال الأسلوب البديعي وبخاصة اللفظي منها، فابن الدبيثي يمتلك ثروة لغوية هائلة، اكتسبها من محفوظاته المتنوعة .

ويحتوي كتابه على نصوص كثيرة تدل على معرفته التامة بمعاني المفردات، وبخاصة تلك التي تجعله يختصر بضع كلمات بكلمة واحدة، كقوله في ترجمة أحد الشعراء: ((راق شعرُهُ ، وتحَفَظَّهُ الناسُ)) [22]

استعمل ابن الدبيثي الفعل تحفَّظَه ولم يقل حَفِظَه؛ لأن الحفظ سرعان ما ينسى، لكن التحفظ معناه الحفظ عن ظهر قلب[23] وهي صيغة مبالغة، تدل على بلاغة وجودة شعر المترجم.

ويقول في نص آخر : ((توفِّيَ في سَلْخِ شهر شوَّال سنة إحدى وتسعين وأربع مئة، ودُفِنَ في مُسْتَهلِّ ذي القَعْدَة من السنة))[24]. إذ استعان بلفظة سلخ للتعبير عن الوفاة في آخر يوم من الشهر العربي[25]، ويقف بالضد من معنى هذه

[22] ذيل تاريخ مدينة السلام: 33/4.

[23] ينظر: لسان العرب: مادة (حفظ) .

[24] ذيل تاريخ مدينة السلام: 25/4.

[25] ينظر: لسان العرب: مادة (سلخ) .

اللفظة كلمة (مستهل)، فالأديب اختصر المعنى، إذ لم يقل توفي في أخر يوم من شوال، ودفن في أول من ذي القعدة، فجاء نصه أكثر بلاغة وإيجازا.

وفي ترجمته لأبي الغنائم قال: ((كان أبوه ...مرض ... مرضا أشرف منه على الموت فسأل الإمام المقتفي ... أن يولِّي ابنه أبا الغنائم ...نقابة العلويين، فأجابه ... وكان على ذلك مُدَيْدَة، ثم إن أباه أبَلَّ من مرضه، وركب وعاد إلى ولايته وعزل أبا الغنائم))[26]. استعان الناثر بأسلوب التصغير (مديدة) للدلالة على قصر المدة الزمنية التي مكث فيها أبو الغنائم في الولاية. فضلا عن استعماله للفظة (أبلَّ) والتي تعني الشفاء وحسن الحال[27]. فكثيرا ما يلجأ الى استعمال الألفاظ القليلة الاستعمال في اللغة العربية؛ أي أنه يميل الى المترادفات؛ لتعليم أبناء جيله الإنشاء وكيفية استعمال المفردات اللغوية، وهذا ما يحرص عليه شعراء وأدباء عصره.

والى جانب الترادف نلحظه يستعين بالألفاظ المتناقضة مثل (مرض × وأبل، يولي × عزل) .

وفي قوله : ((وأُنطيَ مركوباً من المراكبِ الخاصة، وأُعطي عَهدَاً))[28], فأنطي وأعطي لفظتان مترادفتان، تدلان على أثر القراءات القرآنية على أسلوبه، فلفظة أنطي إحدى القراءات السبع التي تحول العين في اعطي الى النون، كقراءة قوله تعالى : ((إنا انطيناك الكوثر))، والمراد أعطيناك[29].

وكثيرا ما يلجأ الى استعمال الألفاظ المتضادة كقوله: ((صار مشهورا بعد أن كان مخمولا))[30]. والمعروف أن التضاد يعد من أسباب قوة التركيب[31].

وكانت لغته بليغة مشتملة على أساليب عدة ساعدته في سرد السير المترجم لها، كقوله: ((انقطع إلى النسك والعبادة وكان صالحا يثني عليه خير، وله كلام على طريقة أهل الحقيقة يتبرك به الناس ويزورونه))[32]. استعمل ابن الدبيثي

---

[26] ذيل تاريخ مدينة السلام: 168/1.

[27] ينظر: المعجم الوسيط : مادة (أبل) .

[28] ذيل تاريخ مدينة السلام: 549/3.

[29] وهي إحدى اللهجات وتعد ظاهرة صوتية قديمة خاصة في كل عين ساكنة تجاور الطاء، وتسمى هذه اللهجة بلهجة الاستنطاء، ينظر: فقه اللغة: د. علي عبد الواحد وافي: 100.

[30] ذيل تاريخ مدينة السلام: 70/3

[31] ينظر: الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية: 197.

[32] ذيل تاريخ مدينة السلام: 23/3

اسلوب (الذكر والحذف)، إذ حذف الفاعل (الناس) وبنى الفعل (يثني) للمبني المجهول، وبعدها ذكر الناس، وهو من باب عدم تكرار ما هو معروف لدى المتلقي .

وفي مديحه لإحدى الشخصيات قال: ((نعم الشيخ كان)) استعان بتقنية (التقديم والتأخير)، إذ أخر الفعل الناقص عن الجملة (نعم الشيخ) فالمفروض يقول : (كان فلان نعم الشيخ)، لكن ابن الدبيثي أراد تأكيد معنى المدح المخصوص.

ويقول في نص آخر: ((وكان فيه فضل وتميز))[33]، إذ قدم شبه الجملة الجار والمجرور (فيه) على اسم كان (فضل)، وهذا اللجوء خصص الفضل والتميز على الشخصية المترجم لها دون سواها.

وله نصوص كثيرة، تدل على قدرته في التعامل مع المفردات اللغوية، من خلال استعماله لبعض الأساليب البلاغية، كقوله:

((وله في الوعظِ المؤلَّفات الحَسَنة والكُتُبُ المفيدة بالعبارة الرائقة والإشارة الفائِقة، والمعاني الدقيقة، والاستعارة الرشيقة . وكان من أحسنِ النَّاسِ في ذلك كلاماً، وأعذبَهُم لِسَاناً، وأَجْوَدَهُم بياناً))[34].

إذ استعمل فن حسن التقسيم، من خلال تعديد سمات مؤلفات الشخصية المترجم لها، واستعمله _أيضا_ عندما قسم صفات الشخصية (أحسن الناس، أعذبهم، أجودهم)، فضلا عن استعمال الجناس في قوله (الرائقة، الفائقة) وهو جناس لاحق؛ لتباعد مخرج صوتي الفاء والراء . أما الفن الآخر فهو السجع، الذي جاء حسن الوقع غير مصنوع.

ويقول في نص آخر: ((ولم تزل الرعية في ظِلِّه وإنعامه، يرجعون إلى أوفى أمنٍ، وأوفرِ فضلٍ، وأكملِ مَنٍّ، وأوسع معيشة، وأرضى حياة وعيشة، يعمهم العدلُ ويشملُهم الفضلُ، وتغمرهم الصَّدقات وتُعينهم الصِّلات، وعمرَ المساجِدَ، وجدَّدَ المشاهدَ، وأنشأ الأربطة والمدارس، وأحيا من الخيرات كل رسم دارسٍ، فالخلقُ في إنعامه راتعون، وله بدوام الملك وطول الحياة داعون، ... ومناقبه الشريفة وفضائله الكريمة أوفر من أن يحيط بها وصف الواصفين أو يحصرها تدوين المصنفين، فنحن وإن رُمنا ذكر بعضَها بالعجز مُقِرُّون، وعن بلوغ الغاية فيها مُقَصِّرون))[35].

إذ استعمل في هذا النص بعض المحسنات البديعية، إذ استعمل تكرار صيغة أفعل التفضيل(أوفى،أوفر، وأكمل، وأوسع، وأرضى) وموسيقية هذه الكلمات نابعة من إحساس صادق فـ((توالي همزات القطع على هذا المنوال يعطي التعبير قيمته ويلبسه ثوبا جديدا فيخرج من القلب؛ ليستقرَّ في القلب))[36] واستعمل ايضا فن السجع الذي جاء

[33] المصدر نفسه: 500/1.

[34] المصدر نفسه: 44/3.

[35] المصدر نفسه: 234/2.

[36] أبو حيان التوحيدي وجهوده الأدبية والفنية: 341.

متنوعا بين اللام والسين والنون والتاء، فحقق التناغم والتوازن الصوتي لمقطوعته النثرية؛ ليعلي من القيمة الشعرية لها، فضلا عن استعماله للأفعال، بزمنيها المضارعة والماضية، إذ ينتقل من الفعل المضارع إلى الفعل الماضي، وينتقل أيضا من الحديث عن الجماعة يعمهم يغمرهم يشملهم، إلى الحديث عن المترجم له (عَمَّرَ، جَدَّدَ، أنشأَ ...الخ) وهذا يدل على معرفته بأسرار اللغة العربية، وطرق استعمال مفرداتها وتراكيبها.

وفي قوله في ترجمة أبي حامد البَرَويّ الشافعي: و((لما كَان عِنْدَهُ مَنْ طَلَبَ التدريسَ في المدرسةِ النظامية و_لعمري _ لقد كان أهلا لذلك، وموعوداً به لو بقي، ولكن أصابته عَيْنُ الكمالِ فَشَوَّشَتْ عليهِ الأحوالُ، واخترمتهُ المنيَّةُ قبل بلوغ الأمنية:

وَفِي طَبْعِ الزَّمَانِ عَلَى الأَمانِي وصاحِبِها التمنعُ والإباءُ))[37]

فاستعماله للسجع غير متكلف، إذ جاء ليؤدي المعنى المراد التعبير عنه، وهو الحزن والرثاء لهذه الشخصية التي لم يمهلها القدر لتحقيق مناها، ومما زاد من قيمة السجع وجود الجناس الناقص في اللفظتين المنية والأمنية . أما البيت الشعري الذي يعد البيت الوحيد الذي أنشده في كتابه هذا، فقد جاء بمثابة الحكمة والشكوى من الزمن الذي يحول بين المرءِ وأمانيه، وقد استعمل الاستعارة المكنية؛ لأنه اسند للزمان أفعال تنتمي للإنسان كالتمنع والإباء.

ومن الاستعارات المستعملة في الكتاب قوله : ((يعرف بغرس النعمة))[38]، وهي استعارة مكنية تجسيدية أعلت من القيمة المعنوية للشخصية المترجم عنها.

وفي قوله : ((له يد جيدة في الجدل))[39] وهي كناية عن قوة الحجة والإقناع.

ومن الأساليب الأخرى المستعملة في كتاب (الذيل) المفارقة، كقوله: ((سمع مني وهو أكبر مني))[40]، مما يدل على أهمية مرويات ابن الدبيثي التي يستمع لها الكبير والصغير.

وكذلك قوله: ((يديم الصوم ويكثر العبادة، إلا أنه كان مستهترا بسماع الغناء على الطريقة الصوفية ويُعلِّمُهُ الأحداث))[41].

---

[37] ذيل تاريخ مدينة السلام: 29/2.

[38] المصدر نفسه: 243/1.

[39] المصدر نفسه: 241/1.

[40] المصدر نفسه: 3/ 240.

[41] المصدر نفسه: 78/3.

وأخيرا، يمكن لنا القول: إن ابن الدبيثي نوّع في اسلوب عرضه للترجمة ، من حيث الايجاز والاطناب، ومن حيث استعمال اللغة العالية الغنية بالأساليب البلاغية وبين اللغة العادية، وهذا يعتمد على الشخصية المترجم لها، فلكل مقام مقال.

المحور الثالث

ابن الدبيثي شاعرا

يتسم شعره بالوضوح وانعدام الغرابة والتعقيد في التراكيب، وأبياته عبارة عن محاولة استطاع من خلالها ان يجد لنفسه مساحة بين شعراء عصره الذي تميز بكثرة الشعراء .

واغلب موضوعاته هي الزهد والحكمة والمديح.

من ذلك قوله[42]:

يَغُرُّ الفَتَى طُوْلُ السَّلامَةِ لاهِيًّا وَيَنْسَى هُجُومَ المَوْتِ مَعْ ظُلْمَةِ القَبْرِ

وَأَهْوَالَ مَا يَلْقَى وَيَوْمَ حِسَابِهِ إِذا بَرَزَ الجَبَّارُ لِلْفَضْلِ وَالأَمْرِ

وَصَيْحَةَ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ والبُكَا إِذَا عَايَنُوا أَهْلَ المَفَازَةِ وَالغَفْرِ

فَيَا رَبِّ وَفِّقْنَا لِخَيْرِ طَرِيْقَةٍ وَمُنَّ بِمَا يُرْضِيْكَ يَا عَالِمَ السِّرِّ

موضوع المقطوعة هو الزهد، فلابد للانسان مهما طال عمره أن يشارف على النهاية وهي الموت، فعليه أن يسعى لحسن الخاتمة؛ لنيل رضوانه سبحانه وتعالى، ونلحظ استعماله للاستعارة في قوله هجوم الموت، إذ جسد الموت بهيئة وحش كاسر، وهذا يذكرنا ببيت الهذلي[43]:

[42] مقطوعة رقم (9) .

[43] ديوان أبي ذؤيب الهذلي: 49.

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقد استعان الشاعر بآي من الذكر الحكيم، إذ يقول عز وجل: ((**وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ**)) الأعراف:50 .

ولكي تكون المقطوعة متماسكة من حيث المعنى والمبنى، استعان بحروف العطف التي تساعد على شد الأبيات بعضها ببعض. واسلوب النداء الذي جعله القاعدة التي ختم بها مقطوعته فهو يتضرع ويرجو الله تعالى التوفيق لسلوك طرق الخاتمة التي يرضاها.

ومن مقطوعاته الزهدية قوله[44]:

عَلَيْكَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ فِي كُلِّ حَالَةٍ وَإِنْ كَانَ طَعْمُ الصَّبْرِ فِي حَمْلِهِ صَبْرَا

فَلَنْ يَعْدَمَ الإِنْسَانُ نَيْلَ مَرَامِهِ إِذَا قَطَعَ الأَيَّامَ مُسْتَعْمِلًا صَبْرَا

وَعَدِّ عَنِ الأَطْمَاعِ وَاقْنَعْ بِدُوْنِهَا فَكَمْ أَهْلَكَتْ حِرْصاً وَكَمْ قَتَلَتْ صَبْرَا

نلحظ استعانته بأسلوب الجناس التام الذي أفضى إلى تكرار لفظة الصبر وهي محور حديث المقطوعة، وورود الجناس في قافية الأبيات؛ جعلها بؤرة عناية المتلقي. فصبر الأولى جاءت بمعناها الحقيقي الا أن تكرارها في البيت أدى إلى معنى المبالغة في الصبر، وصبر الثانية تعني السكين، وهنا الجناس اسهم في رسم الصورة الاستعارية عندما جعل السكين تقطع الأيام، اما البيت الثالث فجاءت صبر اي بمعنى الموت البطيء وهو ايضا يحمل معنى شدة الصبر ، وهو أصعب انواع القتل. وهنا وقع الشاعر في الإيطاء والذي يعنى به: ((أن يتكرر لفظ القافية ومعناهما واحد))[45] فالشاعر كرر الكلمة بلفظها من دون معناها في البيتين الأول والثاني، لكن قافية البيت الثالث تشترك مع قافية البيت الأول في اللفظ والمعنى.

أو الشكوى من الزمن، كقوله[46]:

---

[44] مقطوعة رقم (7) .

[45] العمدة: 451/1.

[46] مقطوعة رقم (20) .

كَمْ فَرَّقَ الدَّهْرُ مِنْ جَمْعٍ ذَوِي عَدَدٍ وَكَمْ أَبَادَ عَلَى الأَيَّامِ أَقْرَانَا

وَكَمْ رَأَيْنَا غَنِيًّا صَارَ مُفْتَقِرَا وَطَالَمَا كَانَ إِن زُرْنَاهُ أَقْرَانَا

وَكَمْ نَحَا المَوْتُ مَنْ قَدْ كَانَ مُنْفَرِدَاً بِالفَضْلِ وَالعِلْمِ إِن جِئْنَاهُ أَقْرَانَا

وَكَمْ تَخَطَّفَتِ الأَقْدَارُ مُنْتَبِهَاً فِي الفَضْلِ قَدْ كَانَ أَنْجَانَا وَأَقْرَانَا

وهنا أيضا استعمل ابن الدبيثي التكرار إذ كرر كم الخبرية، والجناس التام، وقد حاول ان يفلت من من عيب الإيطاء الا انه وقع به، فاقرانا الأولى بمعنى المتشابهة، والثانية الكرم، والثالثة الكثرة، والرابعة ايضا بمعنى الكرم .

ومن الأغراض الأخرى المديح، كقوله مادحا العالم الزهري الأندلسي[47]:

إِذَا عُدَّ أَهلُ الفضلِ والعِلْمِ والخُبْرِ فَحَيَّ هَلَا بِالحَافِظِ العَالِمِ الزُّهْرِ

فَتًى جَمَعَ الآدابَ والنُّسْكِ والتُّقَى وَفَاقَ بَنِي الأَيَّامِ فِي النَّظمِ والنَّثْرِ

وَأَتْقَنَ عِلْمَ النَّقْلِ عَنْ كُلِّ حَافِظٍ وَأَسْنَدَ مَا يَرْوِيْهِ عَنْ ثِقَةٍ حَبْرِ

لَقَدْ شَرُفَتْ بَغْدَادُ إِذ حَلَّ أَرْضَهَا وَتَاهَتْ بِهِ فَخْرَاً عَلَى الأَنْجُمِ الزُّهْرِ

وَزَادَ بِهْ فَخْرَاً فَتًى ظَلَّ خِدْنَهُ وَلاذَ بِهِ يَوْمَاً وَإِنْ قَلَّ فِي الدَّهْرِ

[47] مقطوعة رقم (10) .

كانت تقنية حسن التقسيم من أكثر التقنيات استعمالا في هذا النص، فمثلما لم يفارق هذا الفن نثره، فقد لازم شعره، وهو من أهم ألوان البديع؛ إذ أسهم في رفد النص الشعري بالتوازن الموسيقي من خلال تقسيم البيت الشعري إلى أجزاء متوازنة دلاليا، وقد أشار ابن رشيق القيرواني إلى التقسيم بقوله: ((واختلف الناس في التقسيم: فبعضهم يرى انه استقصاء الشاعر جميع اقسام ما ابتدأ به...ويسميه (جمع الأوصاف)، وبعض الحذاق من أهل الصناعة يسميه التعقيب))[48]، وهو بهذا الاستعمال يعد أمرا صعبا؛ لأنه يحتاج إلى قدرة عظيمة في تخير العبارات، ثم إلى مهارة في توزيعها على شطري البيت دون أن يترك مللا أو كللا[49].

وإلى جانب هذا الفن استعمل الجناس الذي ترك بصماته على ابياته الشعرية وبخاصة القافية، مما أسهم في زيادة القيمة الصوتية للجناس. إلى جانب استعمال المجاز المرسل في قوله (شرفت بغداد) والعلاقة محلية فهو يقصد أهل بغداد، مما وسع من دائرة الخيال التصويري إذ رسم مشهد استقبال أهل بغداد لهذا العالم الجليل.

وأخيرا كان ابن الدبيثي موفقا في نظمه الشعري، وقد اتخذ من التجنيس مذهبا فنيا للتعبير عن معانيه وتجاربه الفنية.

شعره المجموع

قافية الهمزة

_1_

قال: [الوافر]

وَفِي طَبْعِ الزَّمَانِ عَلَى الأَمانِي وصاحِبِها التمنعُ والإباءُ

ذيل تاريخ مدينة السلام: 234/2.

[48] العمدة: 20/2.

[49] ينظر : لغة الحب في شعر المتنبي: 322.

قافية الباء

_2_

قال مجيبا على كتاب بعثه إليه أحد الأدباء: [البسيط]

[بِزِيَارَةٍ مِمَّنْ حَوَى الأَدَبَا[50]] وَالعِلْمَ والفَضْلَ والإِفْضَالَ والرُّتَبَا

لا زالَ فِي نِعْمَةٍ تَصْفُو مَشَارِبُهَا مُبَلَّغاً سُؤْلَهُ مُسْتَنْفِداً حَقَبَا

وَقَفْتُ مِنْهَا عَلَى دُرٍّ شُدِهْتُ لَهُ وَحِكْمَةٍ أَعْجزَتْ سَحْبَانَ إِذ خَطَبَا

وَقُلْتُ لا غَرْوَ إِنْ بَحْرٌ طَمَا فَلَكَمْ مَنْ مِثْلُهَا لِصَفِيِّ الدِّيْنِ إِنْ طَلَبَا

وَالحُكْمُ مِنِّي أَنَّ العَقْدَ مُفْتَقِرٌ إلى وَلِيٍّ وَإِشْهَادٍ لِمَنْ رَغِبَا

فَإِنْ تَرَخَّصَ هَذَا الشَخْصُ مُعْتَمِداً خِلافَ مَذْهَبِهِ فَالحَدُّ لَنْ يَجِبَا

لِسُنَّةٍ قَالَهَا دَاوُدُ مُنْفَرِداً إِنَّ النِكَاحَ بِلا إِشْهَادَ قَدْ ذَهَبَا

خُذْ الجَوَابَ وَدُم فِي العِزِّ مُرْتَقِبًا مَا لاحَ نَجْمٌ وَحَنَّ الصَّبُ أَوْ طَرِبَا

[50] صدر البيت الاول على وزن البحر الكامل، ويبدو أن ابن الديبثي تعمد في جعل هذا الصدر على بحر الكامل، فالكتاب الذي جاءه من عالم وهو عبارة عن أبيات على البحر البسيط، يطلب فيها الافتاء عن مسألة شرعية، إذ سأل عن صحة الزواج بشاهد واحد، فكان لابد من الشاعر أن يجيب على الوزن نفسه، فأراد عن طريق معنى وزن الكامل، التعبير عن كمال أخلاق وعلم مرسل الكتاب؛ وليبدي تعجبه من طلبه الواضح في الكتاب والسنة النبوية الشريفة، وهذا الاستعمال دل على ذكاء وفطنة ابن الديبثي.

قلائد الجمان: 195/1.

_3_

وقال: [الطويل]

خَبَرتُ بَني الأيَّامِ طُرًّاً فَلَمْ أَجِدْ صَدِيْقَاً صَدوقَاً مُسعِدًا في النَّوائِبِ

وأَصفَيتُهُم مِنِّي الودادَ فقابَلُوا صَفَاء ودَادي بالقذى والشَّوائِبِ

وما اخترتُ منهم صاحِباً وارتَضَيْتُهُ فأحمدتُه في فعله والعواقبِ

تاريخ إربل: 195/1 ، قلائد الجمان: 89/7 ، وفيات الأعيان: 494/4.

مرآة الجنان: 75/4، 2_ (بالفدا) بدلا من (بالقذى)، شذرات الذهب: 325/7

طبقات الشافعية: الأسنوي: 1/ 264، 1_ (مستعدا) بدلا من (مسعدا)

قافية التاء

_4_

وقال: [البسيط]

يَا مَنْ يُكَاثِرُ بِالإِخوانِ مُعْتَقِدَاً أَنَّ المَوَدَةَ مِنْ اسْبَابِ فُوَّتِهِ

لا تَغْتَرِرْ بِبَنِي الأَيَّامِ مُعْتَمِداً عَلَى مَوَدَّةِ مَنْ تُغْرَى بِصُحْبَتِهِ

وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ مِمَّنْ تُعَاشِرُهُ فَالدَّهْرُ أَنْكَدُّ أَنْ يَصْفُو لِعِشْرَتِهِ

كَمْ مِنْ خَلِيْلَينِ طَالَ الوُدُّ بِيْنَهُمَا عَادَا عَدُوَّيْنِ كُلٌّ حِلْفُ جَفْوَتِهِ

تاريخ إربل: 195/1، قلائد الجمان: 89/7 . 3_ (تصفو) بدلا من (يصفو) .

قافية الدال

_5_

وقال: [طويل]

أَحُنُّ إِلَى وَادِي العَقِيقِ وَرَنْدِهِ حَنِيْنِي إلى عصرِ الشَّبَابِ وَرَدِّهِ

أَقَامَ قَلِيْلاً ثُمَّ وَلَّى مُوَدِّعَاً وَدَاعَ خَلِيْلٍ نَاقِضٍ عَقْدَ عَهْدِهِ

نَصَى بُرْدَهُ عَنِّي المَشِيْبُ مُعِيْرُهُ وَأَدْنَى لِمَا قَدْ انْتَضَاهُ بِفَقْدِهِ

حَبَانِي بِهِ مَا شَاءَ ثُمَّ اسْتَرَدَّهُ وَآنَسَنِي مِنْ عَوْدِهِ بَعْدَ بُعْدِهِ

أَلَم تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ لِلْمَرءِ مُخْلِقٌ كَمَا أَنَّ غَرْبَ العَضْبِ مُخْلِقُ غِمْدِهِ

وَمَا عَزَّ فِي الأَيَّامِ مَنْ لَم يَكُنْ لَهُ مُعِيْنٌ عَلَى كَيْدِ الزَّمَانِ وَكَدِّهِ

وَمَا نَالَ مِنْ دُنْيَاهُ مَا رَامَ وَابْتَغَى فَتًى مَكَّنَ الأَعْدَاءَ مِنْ حَلِّ عِقْدِهِ

وَمَا أَدْرَكَ المَسْؤُولَ مَنْ عَاشَ بِالمُنَى وَمَا بَلَغَ المَأْمُولَ إِلا بِجِدِّهِ

وَإِنِّي بِأَعْلامِ الرِّجَالِ لَعَالِمٌ وَمَنْ هُو مِنْهُمْ مُسْتَحِقٌ لِحَمْدِهِ

وَصَاحَبْتُ أَبْنَاءَ الزَّمَانِ فَلَم أَجِدْ نَظِيْرَ حِمَاكَ فِي مَحَاسِنِ عَهْدِهِ

الدر الثمين: 23

_6_

وقال مجيبا على لغز: [خفيف]

أيُّها المُلْغِزُ المجِيْدُ أصخْ عِشْتَ مَا شِئْتَ مُدْرِكاً لِلْمُرَادِ

قَدْ تَبَيَّنْتُ مَا لَغَزْتَ فَخُذْهُ فَهْوَ (مَسْعُودُ) فُزْتَ بِالإِسْعادِ

وابقَ فِي نِعْمَةٍ تَدُومُ وَمَجْدٍ صَاعِدٍ مَالِكاً رِقَابَ الأَعَادِي

قلائد الجمان : 138/6.

قافية الراء

_7_

وقال: [طويل]

عَلَيْكَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ فِي كُلِّ حَالَةٍ وَإِنْ كَانَ طَعْمُ الصَّبْرِ فِي حَمْلِهِ صَبْرَا

فَلَنْ يَعْدَمَ الإِنْسَانُ نَيْلَ مَرَامِهِ إِذَا قَطَعَ الأَيَّامَ مُسْتَعْمِلًا صَبْرَا

وَعَدِّ عَنِ الأَطْمَاعِ وَاقْنَعْ بِدُوْنِهَا فَكَمْ أَهْلَكَتْ حِرْصاً وَكَمْ قَتَلَتْ صَبْرَا

قلائد الجمان: 89/7، الحوادث الجامعة: 114

_8_

وقال: [كامل]

عِلمُ الحديثِ فضيلةٌ تحصيلُها بالسَّعي والتَّطوافِ في الأمصارِ

فإذا أردتَ حصولَها بإجازةٍ فقدِ استَعَضتَ الصِّفرَ بالدينار

تاريخ الإسلام: 344/46.

_9_

وقال: [طويل]

يَغُرُّ الفَتَى طُوْلُ السَّلامَةِ لاهِيًّا وَيَنْسَى هُجُومَ المَوْتِ مَعْ ظُلْمَةِ القَبْرِ

وَأَهْوَالَ مَا يَلْقَى وَيَوْمَ حِسَابِهِ إِذا بَرَزَ الجَبَّارُ لِلْفَصْلِ وَالأَمْرِ

وَصَيْحَةَ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ والبُكَا إِذَا عَايَنُوا أَهْلَ المَفَازَةِ وَالغَفْرِ

فَيَا رَبِّ وَفِّقْنَا لِخَيْرِ طَرِيْقَةٍ وَمُنَّ بِمَا يُرْضِيْكَ يَا عَالِمَ السِّرِّ

قلائد الجمان: 88/7

_10_

وقال مادحا العالم الزهري الأندلسي: [طويل]

إِذَا عُدَّ أَهلُ الفضلِ والعِلْمِ والخُبْرِ فَحَيَّ هَلَا بِالحَافِظِ العَالِمِ الزُّهْرِ

فَتًى جَمَعَ الآدابَ والنُّسْكِ والتُّقَى وَفَاقَ بَنِي الأَيَّامِ فِي النَّظِمِ والنَّثْرِ

وَأَتْقَنَ عِلْمَ النَّقْلِ عَنْ كُلِّ حَافِظٍ وَأَسْنَدَ مَا يَرْوِيْهِ عَنْ ثِقَةٍ حَبْرِ

لَقَدْ شَرُفَتْ بَغْدَادُ إِذ حَلَّ أَرْضَهَا وَتَاهَتْ بِهِ فَخْرَاً عَلَى الأَنْجُمِ الزُّهْرِ

وَزَادَ بِهْ فَخْرَاً فَتًى ظَلَّ خِدْنَهُ وَلاذَ بِهِ يَوْمَاً وَإِنْ قَلَّ فِي الدَّهْرِ

قلائد الجمان : 98

_11_

وقال في الغزل: [بسيط]

وَغَادَةٍ مِنْ بَناتِ التُّرْكِ تَحْسَبُهَا شَمْسَ الضُّحَى طَلَعتْ صَحْوًا بِلا كَدَرِ

نَبَّهْتُهَا وظلامُ اللَّيلِ مُعْتَكِرٌ وَنُورُ غُرَّتِهَا تَغْنِي عَنِ القَمَرِ

فاسْتَيقَظَتْ فَأَرَتْنَا الفَجْرَ مُعْتَرِضًا لَمَّا بَدَا وجْهُها مَنْ سِدْفَةِ الشَّعَرِ

البدر السافر: 800، 1_ وغادية بدلا من وغادة، والصحيح ما أثبتناه؛ ليستقيم الوزن

قافية العين

_12_

وقال: [الطويل]

سبيلك يا نفسي إذا رمت مخلصا وراحة سر أن تقلي من الطمع

وان تقنعي بالقصد في كل حاجة ولا تيأسي في الحادثات إذا تقع

وإن مس دهر بالمساءة فاصبري وزيدي خضوعا للإله فقد نفع

ولا تظهري الشكوى لخلق فلن تري لأمر قضاه الله من دافع دفع

فما العسر باق مثلما اليسر لم يدم ولا المرء يبقى فاتركي الحرص والخدع

قلائد الجمان: 7/87-88

_13_

وقال: [طويل]

مَدَارِكُ أعْلامِ الشَّرِيْعَةِ أَصْلُهَا حَدِيْثُ رَسُولِ اللهِ إذ كَانَ يَشْرَعُ

فَكُنْ جَامِعَاً مِنْهُ لِمَا صَحَّ نَقْلُهُ فَقَدْ فَازَ مَنْ أَمْسَى لِمَا قَالَ يَجْمَعُ

وَلا تَسْتَمِعْ مَنْ كَانَ فِيْهِ مُفَنِّدَاً فَلتدينُ الحُكَمَاءُ عَنِ الخَيرِ تَدفَعُ

المستفاد من تاريخ بغداد: 14.

قافية الفاء

_14_

وقال: [طويل]

أَخُوْكَ الَّذِي يَرْعَى المَوَدَّةَ جَهْدَهُ وَيَثْنِي ثَنَاءَ الخَيْرِ إن مَلَّ أَوْصَافِي

وَلَيْسَ أَخُوْكَ القابِلَ الهَجْرِ إنْ نَأَى ولا جَاعِلُ المَكْروهِ لِلخِلِّ أوصَافا

جج

الحوادث الجامعة: 114.

قافية اللام

_15_

وقال: [طويل] من الطويل

إذا اختار كلُّ الناسِ في الدينِ مذهبًا وصوَّبه رأيًا ودقَّقَهُ فِعلا

فإنِّي أرى عِلْمَ الحَدِيثِ وأهْلَهُ أحقَّ اتِّباعًا بل أسدّهُمُ سُبْلاَ

لِتَركِهِمُ فيه القياسَ وكونِهِمْ يَؤمُّون ما قال الرسولُ وما أمْلَى

تاريخ الإسلام: 344/46، طبقات الشافعية للاسنوي: 264/1، 1_ (وحققه) بدلا من (ودققه) 3_ غير موجود ، طبقات الشافعية لابن كثير: 769، 1_ (وحققه) بدلا من (ودققه) .

_16_

وقال: [طويل]

تَمَكَّنَ مِنِّي فِي الفُؤادِ وحَلَّهُ وأضْعَفَ وَجْدَاً عَقْدَ صَبْرِي وحَلَّهُ

وأيقَنَ أَنِّي فِي هواهُ مُدَلَّهٌ فَعَادَ وَأَبْدَى بالغَرامِ وَدَلَّهُ

بَديعُ جَمالٍ فَاقَ فِي الحُسْنِ أهلَهُ وَسَلَّطَ إعْناتاً على القلبِ دَلَّهُ

وَأَسْلَمَنِي لِلْوَجْدِ حُسْنُ قَوامِهِ وَطَلَّ دَمِي فِي حُبِّهِ وَأَحَلَّهُ

وَكُنْتُ طَلِيْقَاً لا أَخافُ مِنَ الهَوَى فَأَسْكَنَ قَلبي شَوقَهُ وَأَحَلَّهُ

إذا رِمْتُ عَنْهُ الصَّبرَ عَزَّ تَصَبُّرِي وَأَنْهَلَ قَلبي شوقَهُ وأَحَلَّهُ

وإن قلت كم ذا الوجد يا قلب فاتَّئِدْ يقول مجيبا لي عساه وعلَّهُ

فشكواي من وجدي به وبعاده وبلواي من صبري إذا ما استقلَّهُ

وأني على الحالات منه لذو غنى وشوق عظيم القدر قلبي استقلَّهُ

فمن مسعدي في الحب والحب ظالم ومن مرشد لي فيه قلبا أضلَّهُ

كأني إذا ما غاب عنّيَ شخصه من الوجد ذو حزن بشيء أضلَّهُ

معجم الأدباء: 2540/6.

_17_

وقال: [كامل]

إِنِّي نَظَرْتُ مُفَكِّرًا فِي مَبْدَأي وَتَنَقُّلِي فِي الخَلقِ وَالأَحْوالِ

حَتَّى عَقَلتُ وَصِرْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِي مِنْ مُنْتَهًى وَمَآلِ

وَكَأَنَّ مَا قَدْ كَانَ لَمْ يَكُ صَائِرًا فيما مَضَى مُتَحَقِّقاً لِزَوالِ

أَيْقَنْتُ أَنِّي لَا مَحالَةَ ذَاهِبٌ مُتَحَلِّلُ التَّرْكِيبِ غَيْرُ مُحَالِ

قلائد الجمان: 88/7

_18_

ومن شعره في مدح المستنصر: [طويل]

إِمَامُ هُدًى أَحْيَا به الله خَلْقَهُ وَأَغْنَاهُمُ بالبرِّ مِنْهُ وبالفَضْلِ

وَأَعطَاهُمُ فَوْقَ الذي كَانَ ظَنَّهُمْ مِنَ الطُّوْلِ وَالإِحْسَانِ وَالأَمْنِ وَالعَدْلِ

بِهِ إِزْدَانَتْ الدُّنْيَا وَزَادَ جَمَالُهَا وَظَلَّ بَنُوْهَا مِنْ أَيَادِيْهِ فِي ظِلِّ

فَلَا زَالَ فِي مُلكٍ عَقِيْمٍ وَنِعْمَةٍ تَدُوْمُ وَفِي عُمْرٍ مَدِيْدٍ وَفِي بَذْلِ

وَبَلَّغَنَا فِيْهِ الَّذِي نَرْتَجِي لَهُ مِنَ النَّصْرِ والتَمْكِينِ رَبٌّ لَهُ يُعْلِي

قلائد الجمان: 88/7

قافية الميم

_19_

وقال: [طويل]

خَلِيْلَيَّ إِنْ جَارَ الزَّمَانُ أَو اعْتَدَى فَلُوذَا بِحُسْنِ الصَّبْرِ فِيْهِ وَسَالِمَا

فَمَنْ سَالَمَ الأَيَّامَ نَالَ مَرَامَهُ وَكَانَ مِنَ المَكْرُوْهِ (بلاًّ)[51] وسالِمَا

قلائد الجمان: 7/88–89

قافية النون

_20_

وقال: [بسيط]

كَمْ فَرَّقَ الدَّهْرُ مِنْ جَمْعٍ ذَوِي عَدَدٍ وَكَمْ أَبَادَ عَلَى الأَيَّامِ أَقْرَانَا

وَكَمْ رَأَيْنَا غَنِيًّا صَارَ مُفْتَقِرَا وَطَالَمَا كَانَ إِن زُرْنَاهُ أَقْرَانَا

وَكَمْ نَحَا المَوْتُ مَنْ قَدْ كَانَ مُنْفَرِدَاً بِالفَضْلِ وَالعِلْمِ إِن جِئْنَاهُ أَقْرَانَا

وَكَمْ تَخَطَّفَتِ الأَقْدَارُ مُنْتَبِهَاً فِي الفَضْلِ قَدْ كَانَ أَنْجَانَا وَأَقْرَانَا

الدر الثمين: 220

قافية الياء

_21_

وقال: [طويل]

[51] ما بين القوسين فارغ في القلائد، وقد خمنا هذه اللفظة، كون (بلاّ) تعني معافى وهي ممكن ان تكون مرادفة لـ(سالما)، وبها يستقيم الوزن، وبخاصة انه استعمل هذه اللفظة في كتابه الذيل وسبق أن أشرنا إلى ذلك.

سَيُذْرِي دَمَاً بَعْدَ الدُّمُوعِ كَآبَةً عَلَى خَوْضِهِ في اللَّهْوِ مَنْ كَانَ لاهِيَا

وَيَنْدَمُ مَنْ قَدْ كانَ يَسْعَى لِنَفْسِهِ بِأهوائِهَا إِذْ بانَ فِي النَّارِ هَاوِيَا

وَيَعْلَمُ عُقْبَى حَالِهِ كُلُّ خَالِعٍ عَذَارَ الحَيَا يَومَ الحِسَابِ المُلاقِيَّا

فَقُلْ لِمُجِدٍّ فِي الحَرامِ مُسَارِعٍ تَرَفَّقْ قَلِيْلاً سوف تَرْحَلُ (خاليا)[52]

قلائد الجمان: 88/7

النتائج والتوصيات

وفي نهاية بحثنا الممتع في نثر وشعر ابن الدبيثي خلصنا إلى ما يأتي:

ـ يعد ابن الدبيثي من الشخصيات الأدبية البارزة في القرن السابع الهجري، إذ امتلك ناصية الكتابة النثرية والنظم الشعري.

ـ يقع نثر ابن الدبيثي في كتابه ذيل تاريخ مدينة السلام، وقد اتسم نثره بالدقة العالية في اختيار اللفظة المناسبة للشخصية المترجم عنها، وقد نوّع في اسلوب عرضه للترجمة ، من حيث الايجاز والاطناب، وإن كان إلى الإيجاز أميل، ومن حيث استعمال اللغة العالية الغنية بالأساليب البلاغية وبين اللغة العادية، وهذا يعتمد على الشخصية المترجم لها، فلكل مقام مقال.

ـ دلت لغته على معرفته التامة بمعاني المفردات، فهو يميل دائما إلى الألفاظ التي لا تستعمل كثيرا في السان العربي، مثل لفظة تعافى يقابلها أبلّ، فهو يعطي درسا تعليميا في استعمال مفردات اللغة العربية.

ـ ينتمي نثره الى مدرسة الترسل، فالأسلوب البديعي لديه غير مصنوع ولا متكلف بل يأتي عفو الخاطر في أغلب الأحيان.

ـ من أكثر الأساليب البديعية عنده السجع وحسن التقسيم والجناس، مع كثرة السجع الذي لم يكن متكلفا.

[52] ما بين القوسين فارغ في القلائد، وقمنا بوضع لفظة خاليا لسببين أولهما مناسبة للمعنى، والآخر مناسبتها للقافية والوزن.

_ إلى جانب هذه الأساليب استعمل الاستعارة والكناية والمفارقة لكن في مساحة ضيقة جدا.

_ اثبت ابن الدبيثي مقدرته على نظم الشعر، واتخذ من التجنيس مذهبا فنيا، يشعرنا بغايته التعليمية، فهو يعطي أكثر من كلمة متشابهة باللفظ مختلفة بالمعنى، إذ يفتح أمام الناشئة طرقا عدة في التعبير .

_ توصي الباحثة بضرورة البحث والتنقيب عن الأدباء والشعراء المغمورين ودراسة نتاجهم الأدبي .

المصادر والمراجع:

_ القرآن الكريم
_ أبو حيان التوحيدي وجهوده الأدبية والفنية، عبد الواحد حسن الشيخ، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980م: 340-341.
_ البدر السافر عن إنس المسافر، المصنف: كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب الأدفوي (ت748هـ)، تحقيق: د. قاسم السامرائي، د. طارق طاطمي، ط1، دار الأمان للنشر والتوزيع_الرباط، 2015م.
_ تاريخ إربل، المسمَّى نباهة البلد الخَامِل بِذكرِ مَنْ وَرده من الأماثل، تأليف ابن المستوفي الإربلي (ت637هـ)، تحقيق محمد عثمان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، 2011م.
_ تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، للحافظ الذهبي (ت748هـ)، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمُري،ط1، الناشر دار الكتاب العربي، 1998م .
_ التكملة لوفيات النقلة، تأليف المنذري (ت656هـ)، حققه وعلَّق عليه: الدكتور بشار عوَّاد،ط3، مؤسسة الرسالة، 1984م .
_ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة، ابن الفوطي (ت723هـ)، تحقيق مهدي النجم، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2003م.
الدر الثمين في أسماء المصَنِّفين، لعلي بن أنجب المعروف بابن الساعي (ت674هـ)، حققه وعلَّق عليه: أحمد شوقي بنين ومحمد سعيد حنشي، ط1، دار الغرب الإسلامي تونس، 2009م.
_ ديوان أبي ذؤيب الهذلي، تحقيق وتخريج: د. أحمد خليل الشال، ط1، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية_ بور سعيد، 2014م.
_ ذيل تاريخ مدينة السلام، محمد بن سعيد بن الدبيثي (ت637هـ)، حققه وضبط نصه وعلَّق عليه: الدكتور بشار عوَّاد معروف، ط1، دار الغرب الاسلامي، 2006م.
_ سير أعلام النبلاء، للذهبي (ت748هـ)، رتبه وزاده فوائد واعتنى به: حسَّان عبد المنَّان، بيت الأفكار الأدبية، 2004م.
_ طبقات الشافعية، تاليف عبد الرحيم الأسنوي (جمال الدين)، (ت772هـ) تحقيق كمال يوسف الحوت، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1407هـ – 1987م.
- طبقات الشافعية، لعماد الدين إسماعيل بن عمر ابن كثير (ت776هـ)، تحقيق عبد الحفيظ منصور، ط1، دار المدار الاسلامي ، بيروت . لبنان، 2004م.
- طبقات علماء الحديث، تأليف الإمام محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي (ت744هـ)، تحقيق أكرم البوشي و إبراهيم الزيبق، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، 1996م .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني(ت456هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت_لبنان، 1981م .
- فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ط3، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م.
- لسان العرب، ابن منظور (ت711هـ)، دار صادر _ بيروت، د.ت.
- لغة الحب في شعر المتنبي، د. عبد الفتاح صالح نافع، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1983م .

_ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تأليف الإمام ابو محمد عبد الله بن اسعد بن علي اليافعي اليمني (ت768هـ)، ط2، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت–لبنان، 1970م.

_ المستفاد من ذيل تاريخ بغداد للحافظ محب الدين بن النجار البغدادي، المؤلف: أحمد بن عز الدين أيبك بن عبد الله الحسامي ابن الدمياطي; المحقق: محمد مولود خلف; ط1،الناشر: مؤسسة الرسالة ، 1986.

_ معجم الأدباء، تأليف ياقوت الحموي،تحقيق إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 1993م.

_ المعجم الوسيط، تأليف مجمع اللغة العربية، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 2004م .

_ الوافي بالوفيات، تأليف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق واعتناء، أحمد الأرنأووط، وتزكي مصطفى، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

_وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت608-681هـ)، تحقيق د.إحسان عباس، دار صادر بيروت، د.ت.